الفجوة وجدوا أنفسهم في بهو واسع يحتوي الآلاف من ألواح الآجر ، وقد تكدس بعضها فوق بعض بصورة منتظمة ، ومنذ هذه اللحظة التاريخية الحاسمة سطعت الحقيقة الباهرة التي قطعت باليقين كل الشكوك ، وأثبتت على نحو واضح أن موقع (تل مرديخ) الحاضر هو نفسه موقع إبـــلا القديمة ، تلك الامبراطورية المفقودة التي ظلت تائهة عبر احقاب الزمان ، ثم قدر لها ان تبعث الى الوجود ، وتطل على الدنيا ، نافضة عن نفسها غبار الدهور[4].

لقد كان لهذا الاكتشاف أثره الكبير على جميع أعضاء البعثة الايطالية التي شهدت الحدث ، فها هي زوجة ماتييه تصرح بنشوة عارمة : عندما رأينا الغرفة ، ووقعت عيوننا على كومة من الالواح تملكنا شعور هستيري ، انها تشبه تماماً المكتبة التي اغلقها أمينها البارحة في الساعة الخامسة[5] ؟!

وهاهو باولوماتييه يسرح بتقديم تقريره الاول عن اكتشاف المكتبة الملكية في إبـــلا فيقول : تتألف المكتبة الملكية من عدد ضخم من الالواح الطينية ، وهي رقم مسمارية رتبت على رفوف خشبية بصورة دقيقة ، وقد صنفت بحسب مواضيعها ، ويبلغ عدد هذه الرقم خمسة عشر ألف رقيم ، اكثرها بحالة سليمة ، وبعضها محطم تم ترميمه ، أو بقيت كسر لم يتمكن الفنيون من ترميمها ، وبصورة اكثر دقة فإن الوثائق تتألف من 16500 رقيماً تقريباً ، هي رقم كاملة أو كسر ، سجلت في قيودنا بالتسلسل ، منها 1800 رقيم كامل ، و 4700 جزء رقيم ونحو عشرة آلاف كسرة كبيرة أو صغيرة ، وهكذا فإن مجموع الرقم التي يمكن ان نعتبرها متكاملة لايتجاوز الاربعة آلاف رقيم . . .

لقد تبين أن هذه المكتبة هدمت مع القصر ، وأحرقت ، وقد بدا تأثير الحريق على الخشب الذي اضحى فحماً ، كما بدا على الرقم ذاتها التي اصبحت اكثر صلابة ، وقد تأكد ماتييه ، أن هذا الحريق تم بفعل (نارام ـ سن) الملك الآكادي عام 2250 قبل الميلاد ، والذي يفخر في كتاباته : إني أنا الذي فتح إبـــلا وأرمانوم (حلب) ولم يكن بإمكان أحد قبلي ان يقوم بهذا العمل[6].

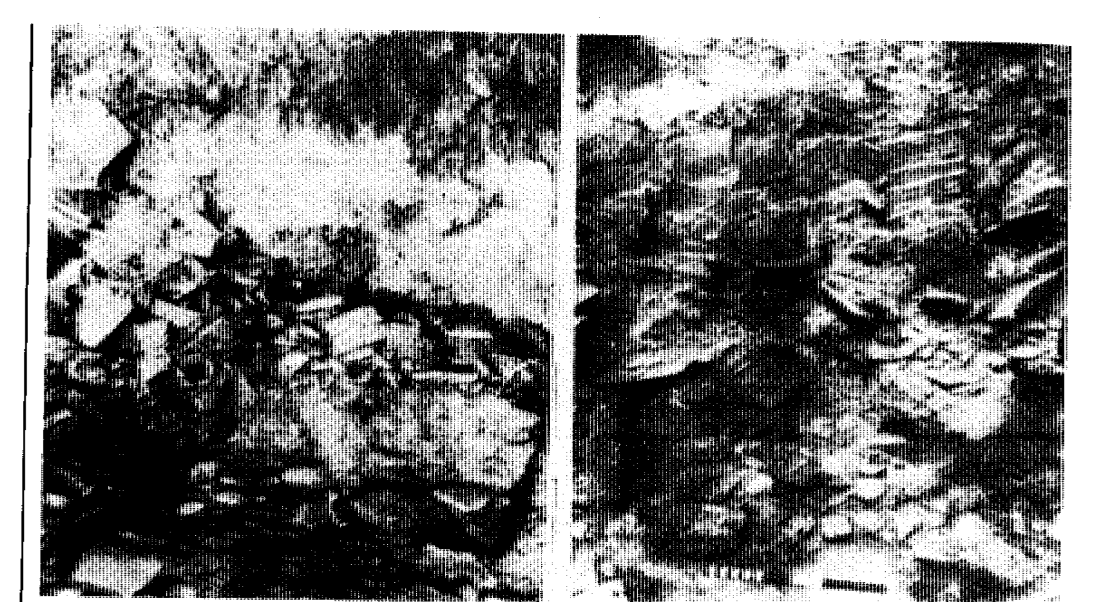
ويحدد ماتييه أهمية هذه الرقم في تقريره فيقول : انها لاتحوي نصوصاً تاريخية كالكتابات النذرية او التذكارية أو الوقفية ، التي توجز في ثنايا سطورها أحياناً بعض الاحداث السياسية الراسخة في الذاكرة ، بل تتألف من عدد كبير من النصوص المعجمية ، وعدد من النصوص الادبية ، الى جانب النصوص الإدارية والقضائية ، كذلك فإن القسم الاعظم من تلك النصوص عبارة عن مسك الدفاتر وتسجيل الحسابات التي تتعلق بشؤون المال والاقتصاد الى جانب قسم محدود نسبياً من النصوص الشرعية . أما النصوص التي تعالج مسائل سياسية فهي نادرة جداً . . .

ويتابع ماتييه تقريره : لقد عثرنا على هذه السجلات الملكية في احدى غرف القصر الواقعة عند الرواق الشرقي الملاصق للمدخل المؤدي الى الجناح الاداري . ان جميع السجلات مسطرة بالخط المسماري الذي تطور في بلاد الرافدين نحو 3000 قبل الميلاد ، ليحل محل الاشارات السومرية ، كوسيلة للتعبير عن الافكار . بيد أن اللغة التي كتبت بها وثائق تل مرديخ ، هذه هي لغة «سامية» غربية عريقة في القدم ، منها بعض النصوص التي تتعلق بالتجارة الدولية ، مثل سجلات مالية وايصالات لمدفوعات أو اشعارات قبض الجزية والرسوم والضرائب ، وايصالات توريد واستلام بضائع ، أو أنها تتعلق بأوامر ملكية تشرح سلوك الحكومة وتصرفاتها ، أو هي تقرير من موظفي الملك

4 ـ المصدر السابق (ص 22 ـ 23) وجريدة الثورة 29 ايلول 1977.

5 ـ المصدر السابق (ص 30 ـ 31) علماً بأن السيدة غابرييلا ماتييه ، عالمة آثار معروفة ، لها عدة ابحاث ودراسات عن إبـــلا ، وتشارك زوجها اعمال التنقيب والكشف الاثري منذ سنوات طويلة.

6 ـ نشر نص التقرير في كتابه : EBLA AN EMPIRE REDISCOVERED , NeW YORK, 1981



الرُقم المسمارية الإبلائية في لحظة الكشف العظيم .

ووجهاء البلاط حول مسائل الدولة ولعل من اهم اللوحات الكتابية المكتشفة ، تلك اللوحات التي تصف لنا الحياة التعليمية ، وتتضمن بعض تلك اللوحات قوائم معجمية لمفردات لغوية شبيهة بالمعاجم الموسوعية المعروفة في عصرنا الحديث.

وتتألف تلك القوائم من مفردات سومرية مع مايقابل معناها من المفردات التي يتداولها أهالي إبـــلا (تل مرديخ) في النصف الثاني من الألف الثالث ، فضلا عن اللفظ الصوتي للمفردات السومرية في بعض الاحيان.

وتتجلى القيمة الاساسية للسجلات الرسمية لدولة إبـــلا في انها تمثل عنصراً رئيساً وعضوياً لوثائق دولة كبرى تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، فالنصوص تؤلف وثائق وزارتي التجارة والمالية في إبـــلا ، تغطي فترة زمنية مدتها نحو 150 سنة أي بين 2400 و 2250 قبل الميلاد ، وبالتالي ترسم لنا صورة كاملة ومنسجمة للادارة التجارية والمالية في إبـــلا خلال الألف الثالث ق.م.

تبدو اللوحات بأحجام مختلفة وأشكال متنوعة فمنها الصغير ، والمستدير ، الذي لايتضمن إلا بضعة أسطر ، ومنها الكبير والمستطيل الذي يحوي ثلاثة آلاف سطر ، ويصل طول أكبر لوحة فيها نحو 40 سم ، ويبلغ طول التوسط منها نحو 25 سم ، وكانت اللوحات المكتشفة في قاعة الاستقبال الكبرى ، منسقة فوق رفوف خشبية يبلغ عمقها 80 سم وارتفاعها 50 سم ، وتشبه عملية التنسيق هذه ماهو معروف في عصرنا هذا لدى المكتبات العصرية في كثير من الوجوه.

ان الحالة الجيدة للكتابة المسطرة على هذه اللوحات الطينية التي قساها الحريق الذي تعرضت له المكتبة ، تعتبر فريدة من نوعها وتجعلها أحد أهم مكتشفات هذا القرن[7].

لقد أطلق على هذه اللغة اسم اللغة الابلائية ، تبعاً لمدينة إبـــلا (تل مرديخ) التي وجدت فيها الوثائق ، مع الاشارة الى ان هذه اللغة كانت تستخدم الاشارات السومرية في مجالات واسعة ، كما هو الحال في اللغة الآكادية القديمة ، ومن المؤكد ان اللغة الابلائية كانت لغة البلاط الملكي في

7 ـ وثائق من إبـــلا ، د. عفيف بهنسي ، (ص 23 ـ 24) ، ومملكة إبـــلا ـ أقدم مملكة عامرة في سورية ، تأليف : باولوماتييه ، ترجمة : قاسم طوير (ص 17 ـ 18).

إبـــلا عام 2400 قبل الميلاد ، لكن هذا لايعني ان هذه اللغة قد ولدت في 2400 قبل الميلاد ، بل لابد ان تكون قد تركت وراءها من التراث الادبي أقدم بكثير من هذا التاريخ[8].

8 ـ باولوماتييه ، المصدر السابق (ص 20)

أما «جيوفاني بتيناتو» عالم اللغات القديمة في البعثة الاثرية ، فقد قام بتصنيف محتويات هذه الرقم في زمر :

1ـ نصوص تجارية مالية اقتصادية : وتنطوي على بيانات واشعارات وايصالات وسجلات ، ونحو ذلك ، مما يتصل بتسليم البضائع والسلع المتبادلة مع البلدان المجاورة ، وثمة عدد قليل من الرقم يتصل بشؤون الزراعة وتربية الماشية.

2ـ نصوص رسمية ادارية سياسية قضائية : وتنطوي على مراسلات الدولة والأوامر الملكية والمراسيم والانظمة ، وما يتصل بسياسة الدولة وأعمالها وتصرفاتها ومعاهداتها الخارجية ، ثم قوائم باسماء المدن والمناطق الخاضعة لإبلا واشعارات بالجراية المفروضة ، وبالرسوم والضرائب ، وكذلك تقارير لقواد وموظفين وقادة ووجهاء البلاط ، ومدونات تحدد مخصصات الكهان المالية ، وغير ذلك من الشؤون . . .

3ـ نصوص دينية ـ ميثولوجية : وتتضمن عبارات لأدعية ورقي وتعاويذ وتعازيم سحرية وأناشيد ألوهية ، وتتسم بطابع غيبي في ظل الاعتقاد بتعدد الأرباب.

4ـ نصوص لغوية معجمية : وتضم نصوصاً لفظية تعنى بالترجمة لقوائم من الالفاظ تتضمن اللغتين السومرية والابلائية ، ونماذج أخرى لتدريبات ووظائف ذات طابع تعليمي.

5ـ نصوص أدبية : وهي قليلة العدد ، وفيها أمثال وحكم وملاحم وأساطير وماشابه ذلك[9].

9 ـ إبـــلا منعطف التاريخ . مصدر سابق (ص 39)

ونظراً للأهمية البالغة التي تنطوي عليها هذه النصوص المسمارية المكتشفة من ألواح إبـــلا ، ومايمكن ان تسفر عنه من حقائق تاريخية جديدة ، ومثيرة فقد توقع علماء الآثار والتاريخ واللغات القديمة التي تقلب الكثير من المفاهيم السائدة ، وتغير الكثير من معلوماتها عن حضارة الالف الثالث قبل الميلاد في المشرق العربي القديم . . . . .

لذلك نرى باولوماتييه يقول ، موضحاً الدور التي لعبته إبـــلا في تاريخ المشرق العربي القديم في الفترة التي سطرت فيها هذه الرقم المسمارية التي تم اكتشافها : لقد لعبت إبـــلا دوراً أساسياً في مناطحة الدولة الاكادية في بلاد مابين النهرين ، فالنصوص التي تحويها وثائق (تل مرديخ) تسرد لنا انتصارين حققتها دولة إبـــلا على دولة ماري (تل الحريري). كما تكشف لنا الوثائق نفسها ، ان سبب النزاع بين الدولتين هو السيطرة على طريق التجارة الذي هو نهر الفرات ، حيث تقع على ضفافه مدينة ماري ، أما الدافع الاساس للصراع بين إبـــلا وآكاد ، فلابد انه يكمن في أمر السيطرة على تجارة المعادن المستخرجة من الاناضول ، وتجارة الخشب المستخرج من غابات الساحل السوري ، وكلا المادتين كانتا القاعدة الاساسية لحضارة ومدينة مابين النهرين ، وفي اعقاب هزيمة شهدتها إبـــلا على يد صارغون الآكادي ، عادت إبـــلا ثانية لتهيمن هي نفسها على اكاد ، وعندما حاولت إبـــلا سد المنافذ على آكاد في عقر دارها في بلاد مابين النهرين ، كان رد فعل الملك الآكادي (نارام ـ سن) عنيفاً وقد تجلى ذلك بغزو دولة إبـــلا ، وتدمير المدينة وحرق قصرها.



رُقم إبـــلا المتنوعة الأحجام لحظة الاكتشاف التاريخية .

وتتجلى أهمية وثائق إبـــلا ، في انها تضيف صفحة ناصعة للغاية الى تاريخ سورية وحضارتها الرفيعة في فترة سحيقة من القدم ، خاصة واننا كنا نعتقد في السابق (على حد تعبير ماتييه) بأن سورية لم تصل الى هذا المستوى من الرقي الذي أصبحت تؤكده لنا وثائق تل مرديخ الآن ، فمثلا ، كانت إبـــلا بين 2400 — 2250 ق . م مركزاً لقوة كبرى هيمنت فترة طويلة من الالف الثالث قبل الميلاد على آسيا الأمامية ، ووصل الامر الى ان دولة آكاد العظمى ، قد اضطرت يوماً الى دفع الجزية الى ملوك إبـــلا ، كذلك كانت إبـــلا عاصمة لدولة رفيعة راقية ، وفي مقدمة فتوحاتها الفكرية ، نذكر نظرتها للدولة العالمية التي تبناها وحققها الملك الآكادي (نارام ـ سن) فيما بعد ، وتطويرها وتطبيقها لنظام الكتابة المسمارية للتعبير عن لغة سامية ، وأخيراً وليس أخراً فإن كل مظاهر العمران والبناء التي كشف عنها في تل مرديخ ، تبين لنا أوجهاً أصيلة ومستقلة بشكل أساسي ، وتجعل من سورية على الصعيد الحضاري مثلما هو على الصعيدين السياسي والاقتصادي بلداً يحتل المركز الرئيسي الثالث للحضارة في الشرق الادنى ، جنباً الى جنب مع بلاد مابين النهرين ووادي النيل[10]

10 ـ وثائق إبـــلا ، د . عفيف بهنسي ـ دمشق 1984 (ص 29 ـ 30)

. أصداء الاكتشاف :

ماان تم اعلان الكشف عن مكتبة الوثائق الملكية في إبـــلا ، حتى تسابقت صحف العالم ووسائل الاعلام العالمية لنشر هذا الحدث الهام وكثيراً مارافق ذلك بعض المغالاة التي لاتستند الى ظل من الحقيقة ، مثل اكتشاف حصان ذهبي مزعوم ، سوف يرفع كثيراً قيمة الليرة السورية ، علماً بأن قيمة ارشيف إبـــلا التاريخية والأثرية ، اكبر بكثير من حصان ذهب ؟.

لقد افردت كبريات صحف العالم ومجلاتها صفحات مطولة ومصورة ، للحديث عن إبـــلا ، فنشرت «التايم» الامريكية دراسة بعنوان «محفوظات عن دولة مجهولة اكتشفت في سورية» وأوردت الفيجارو «الفرنسية مقالة بعنوان» أقدم المحفوظات في العالم اكتشفت في سورية أما لوموند الفرنسية فقد أوردت مقالة بعنوان «الواح فخارية مكتشفة في سورية تثير ثمة تساؤلات» . وفي صحيفة هيرالد تريبيون نشرت مقالة تحت عنوان «الكتابة المسارية تكشف الحجاب عن لغة في موقع في سورية» ونشر في صحيفة واشنطن ستار مقالة ، تطرقت الى موضوع إبـــلا ، وتساءلت كيف يستطيع التاريخ أن يهمل مدينة قيّمة ذكر بأنها دامت 800 سنة وانها كانت تنافس معاصريها من الحضارات مثل : حضارة مابين النهرين وحضارة مصر كأمر ظاهر وجلي.

كما أفردت صحفنا المحلية والعربية صفحات مطولة للحديث عن اكتشاف إبـــلا ، وقامت بعض الشركات بانتاج الافلام السينمائية والتلفزيونية عن هذا الحدث العظيم[11].

غلاف مجلة تاريخ وآثار في عددها الخاص عن إبـــلا .

11 ـ لمزيد من المعلومات ، حول هذا الموضوع ، راجع المصدر السابق (ص 31 ـ 43).

. تخرصات صهيونية :

ولكن ماهي قصة الضجة الاعلامية المفتعلة التي أثارتها الصهيونية حول ، اكتشافات إبـــلا ؟!

حول هذا الموضوع ، نشير بأنه كان من المفترض عند هذا الحدث العظيم في تاريخ الكشوفات الاثرية أن يتوقف الانسان بانتظار الدراسة العلمية الدقيقة لمحتويات الرقم المسارية ، وهذا الأمر ، كما نعرف يحتاج الى دراسة متأنية وصبر وجهد طويل . . . .

ولكن الذي حدث غير هذا ، فقبل ان تستكمل الدراسات العلمية لهذه الرقم المكتشفة ، ظهرت على الساحة الاثرية تخرصات صهيونية مفضوحة تريد أن تستغل هذا الاكتشاف الضخم لمصلحتها ، مستفيدة من عطف العالم على التوراة ، ومن رغبته للتأكد من أحداث التوراة من خلال الكشوف الاثرية ، فقد كان ثمة زعم آمن به الناس قبل تقدم الكشوف الاثرية ، ان التاريخ القديم مكتوب في التوراة وحسب ، وان مهمة التنقيب الاثري هي التأكد من هذا التاريخ على هدى التوراة ، وكان همُّ الصهاينة المستمر أن يبحثوا في اعماق الارض عن أي اثر يسعفهم لتأكيد أوهامهم

الاسطورية ، ولكن ثمة اتجاهاً علمياً كبيراً يتعاظم يوماً بعد يوم يكشف زيف الخلفية التاريخية التي تعتمد عليها الصهيونية لتبرير وجودها وأطماعها [12]

وفي الواقع أن هذه الزوبعات الاعلامية ليست جديدة علينا ، فقد كان لاكتشاف ماري (تل الحريري) نصيب من هذه التخرصات أيضاً ، إذ حاول البعض ربطه بالآباء القدماء الذين ذكروا في العهدالقديم ، كما تعرضت ملاحم اوغاريت (رأس الشمرة) أيضاً لمحاولات تشويه وربط توراتي ، وقضية (فيرولو) مازالت ماثلة للعيان ، ولكن ثبت فيما بعد بطلان هذه الادعاءات وبدأت تظهر في الجامعات تيارات علمية تدعو الى فصل علم الآثار ، عن علم الآثار التوراتي المرتبط مباشرة بما يدعى «بـ المدرسة التوراتية» والتي تحاول استغلال المعطيات الاثرية وخاصة الكتابية منها للتدليل على جذور اليهود من الفرات الى النيل.

بداية التخرصات الصهيونية ، رفع رايتها «جيوفاني بتيناتو» اللغوي المختص بقراءة النصوص لدى البعثة الايطالية ، وهو كاهن سابق ، لديه على سذاجته الخبيثة ، نزعة مباهاة ، ورغبة في تعجيل الشهرة ، فأخذ ينشر التصريحات «ذات اليمين ، وذات الشمال» خاصة خلال جولته في الولايات المتحدة الامريكية ، وما أن يسأل عن حدث أو اسم إلا ويزعم أنه موجود في رقم إبـــلا [13]

وتوّج هذه الادعاءات بنشر دراسته في مجلة «الآثاري التوراتي» الصادرة في الولايات المتحدة الامريكية ، العدد 39 لعام 1976 «تحت عنوان» الوثائق الملكية في تل مرديخ (إبـــلا) ، يشير فيها بوضوح الى علاقة وشيجة بين إبـــلا والتوراة ، وقدم معلومات غريبة للغاية ، وقع خلالها بتناقضات غير منطقية وبعيده كل البعد عن الحقيقة العلمية [14]

وبعد ذلك تتابعت المقالات التي تعزف على نفس المنوال ، ونشر بعضها في «مجلة الآثاري التوراتي» التي يرأس تحريرها داود فريدمان ، وفي بعض المجلات الامريكية والأدبية المأجورة . . . لقد تفاقمت التأويلات الخاطئة لدرجة غريبة . . . . .

يقول داود فريدمان في مجلة الآثاري التوراتي : «ان ظهور اسماء مثل ابرام وأدامو واشمع ايل ومي كايل ، يوفر لنا الدليل على تحديد تاريخ ابراهيم الخليل في الألف الثالث قبل الميلاد . . . «بل وذهب الى استنتاجات غريبة مثل » انه من المحتمل ان تكون القدس هي إبـــلا ذاتها» ووجود اشارات في إبـــلا الى «اورشاليما» وغير هذا كثير . . . .

في معرض الرد على هذه الاكاذيب والتفسيرات الخاطئة والمتسرعة ، نشير الى رأي الدكتور عدنان البني [15] ، حول موضوع الكتابة المسارية التي تحتمل تأويلات ، وتتقبل الكثير من الهوى مالم يكن هناك رادع من أمانة.

ان الاستاذ «روبرت بيغس» استاذ الآشوريات في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو ، والاختصاصي الذي يعمل منذ عام 1963 على رقم مشابهة لرقم إبـــلا مكتشفة في (ابو صلابيخ) بالعراق الشقيق[16] ، يؤكد على صعوبة قراءة وفهم النصوص المسارية ، وتعقيد طريقة الكتابة في إبـــلا فيقول :

12 ـ في العالم مدرستان متميزتان لدراسة آثار وتاريخ منطقة الشرق الادنى القديم (مصر وبلاد الشام والرافدين والأناضول وايران) . الاولى : دينية وتعرف بالمدرسة التوراتية والثانية علمانية ، الاولى تنطلق من أحكام مسبقة (الكتاب المقدس) وتبحث عن أدلة مادية لاثبات تاريخية القصص الدينية وشخصياته.
ـ والثانية مجردة من أي حكم مسبق ولاتبغي إلا البحث العلمي واستقصاء الحقائق مهما كانت ، الأولى ، ضيقة الافق ، والثانية واسعة على امتداد الآفاق الانسانية ، (قاسم طوير ـ إبـــلا ـ ص 61).

13 ـ مجلة التراث العربي ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، لعام 1981 ، الكتابة المسارية و إبـــلا ، د . عدنان البني (ص 28).

14 ـ انظر مجلة الآثاري التوراتي (BIBLICAL ARCHEOLOGIST) العدد 39 لعام 1976 (ص 44 ـ 52).

15 ـ مجلة التراث العربي ، المصدر السابق (ص 28).

16 ـ تشير الترجمات اللغوية القديمة ، أن اقرب النصوص الى نصوص إبـــلا هي نصوص (ابو صلابيخ) ونصوص فارة (شورروباك) وكلاهما من بلاد مابين النهريين ، وحسب شهادة «بتيناتو» نفسه وهناك نحو (100) نص إبـــلا متماثلة تماماً مع أمثالها من فارة و (أبو صلابيخ).

LAND
DES
BAAL

Syrien —
Forum der Völker
und Kulturen

آثار إبـــلا تتصدر أدلة المعارض الأثرية عن الآثار السورية.

ان فيها استعمالا كثيراً للإشارات الرمزية الأمر الذي يعني ان الكلمات المقصودة لايمكن ان نعرفها إلا من مقابلها في اللغة السومرية . ولاندري ماهي اللغة الإبلائية ، ثم ان الأدوات التي تربط الكلمات بعضها ببعض لتشكل الجمل قد لاتكون موجودة اطلاقاً ، واذا وجدت تكون مكتوبة بالمقاطع الإبلائية ، وعلى هذا لايمكن معرفة معناها الا تخميناً وبالمقارنة مع الفاظ مماثلة في لغة «سامية» أخرى ، ويبدو في الحقيقة عدم وجود نصوص مكتوبة كلياً بالمقاطع الإبلائية، وعلى هذا فالنصوص الإبلائية في كثرتها الساحقة لا يمكن فهمها إلا إذا أمكن تفسير الاشارات الرمزية السومرية [17] .

ويشير بيغس الى الصعوبات التي تعترض قارىء نصوص إبـــلا ، فيقول : «ان معظم الاشارات المسمارية لها أكثر من قراءة مقطعية ، وكذلك واحدة أو أكثر من القراءات الرمزية ، ثم انه ليس هناك أية مسافة أو فاصلة تفصل الكلمة عن الاخرى ، ونظراً لكل هذه الصعوبات فإن من الطبيعي أن تتحسن قراءة النصوص في الاسماء تدريجياً ، مع تطور معرفة العلماء بالمقطعية الإبلائية» .

17 – (Robert Biggs, Ebla Tablets , Biblical Archeologist. Volume (43(Spring, 1980, P. 18.

ويظن الانسان ان فهم النصوص الاقتصادية والادارية الإبلائية من الامور السهلة ، وقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لعدد محدد من الحالات ، أما في الغالب فإن الانسان ، حتى إذا فهم كل الكلمات ، لايعرف المقصود من النص ، فإذا كان يعرف ان النص يتحدث عن الشعير فلا يدرك ، هل الشعير قد صدر أو استورد ، وماهي الغاية من هذا وذاك[18]

ويورد بيغس أمثلة كثيرة يوضح فيها أخطاء «بتيناتو» في قراءاته الإبلائية ، ويذكر بالذات أسماء المدن التي زعم انها المدن الخمس المذكورة في التوراة . . . . ومن الطرائف في هذا المجال قصة الرقيم (ت م 75 - 1860) الذي كان «جيوفاني بتنيناتو» قد زعم ان هذا الرقيم يحوي أسماء مدن السهل الخمس الواردة في سفر الخليقة وانها واردة فيه بترتيب التوراة نفسه : «سادوم ، عمورا ، أدما ، صبوييم ، بالع» ثم تراجع تدريجياً وقال أول الأمر ان الاسماء مجتمعة في رقيم واحد ، ولكنها موزعة في عدة رقم ، ثم قال بعد ذلك ان ثلاثا من أسماء المدن مغلوطة[19] وبعد القراءة المتأنية لمحتويات النص المسماري ، تبين انه يتحدث عن سبائك معدنية ، وانه من ناحية اللغة الابلائية لاتستقيم قراءة (سادوم ولاعمورا) على هذا الرقيم[20] .

ويرد الفونسوآركي (معهد دراسات الشرق الادنى القديم في جامعة روما ـ عضو الهيئة الدولية لترجمة رقم إبـــلا) حول هذا الموضوع بقوله : بعد الرجوع الى الرقيم الاصلي موضوع الاسماء ، تبين انه لايمكن مطابقة المحتويات مع أسماء المدن الخمس الوارد ذكرها في التوراة كما يدعي «بتيناتو» فيما لو تقيدنا بقوانين الاصوات اللغوية.

ان النص موضوع النقاش ، عبارة عن سجل لمنتوجات مصدرة إليها بالسومرية (كي) التي هي بالتأكيد اختصار للإشارة السومرية (جانا ـ كيشدا ـ كي) وتعني منتوجاً زراعياً ، وربما نبتة ، لأن أرقاماً (كذا الف ـ أو كذا مئة) تتقدمها في النص ، كما أنها تأتي في بعض الاحيان مرافقة للزيت والشعير والغنم والابقار . . . لذا فإنه من الواضح ان مثل هذه النصوص تتعلق بالادارة الزراعية في إبـــلا ، فأسماء المدن أو الاماكن ليست إلا مراكز صغيرة ، وهي ليست متسلسلة حسب نفس النسق الذي تتسلسل فيه المدن التوراتية الخمس كما يدعي «بتيناتو» ففي النص نفسه نقرأ على سبيل المثال : «لي (ألف) كي (نبتة) أب حاوم (مدينة أو بلدة) لي (ألف) آري ـ مو إلي (مدينة) كي (نبته)[21]

ويعود آركي لمناقشة بتيناتو مرة ثانية حول مدن التوراة الخمس ، في دراسة مستفيضة[22] ـ فيثبت عدم صحة قراءته حول هذا الموضوع ، فليس هناك أي عنصر معين يشير الى ان (سي ـ دامو) أو سودوم تقع بالتحديد على شواطىء البحر الميت ، أما (جومورا) فقد ظهر على شكل اشارات سومرية ، وبناء على مقارنات عديدة من وجهة النظر الكتابية ، ليس هناك علاقة بين هذه الاسماء الواردة في نصوص إبـــلا واسم عامورة (جومورا) التوراتية ، كما ادعى «بتيناتو».

نون الوقاية التي أصبحت إله يدعى (يا) و (يهوه) ؟!

ونأتي الى طرفة تتعلق بلفظة (يا) التي قال عنها «جيوفاني بتيناتو» حطأً أنها ترد في آخر بعض الاسماء الإبلائية ، وزعم في وقت من الاوقات أنها قد تكون في آخر الاسماء للتحبب ، أو أنها

18 ـ المصدر السابق (ص 78 - 79)

19 ـ مجلة الاثاري التوراتي ، العدد رقم 41 ، (تشرين الثاني وكانون الاول 1978) الصفحة 143 ومابعدها ، دراسة بقلم داود نويل فرهيدمان.

20 ـ مجلة التراث العربي (ص30) مرجع سابق ، د . عدنان البني.

21 ـ مجلة بيليكا ، المجلد 60 ، العدد 4 لعام 1979 (ص 556 ـ 566) ترجمة الاستاذ قاسم طوير.

22 ـ سلسلة «دراسات إبـــلائية» التي تصدرها جامعة روما ، المجلد الرابع لعام 1981

اختصار لاسم (رب) ، وقيل لعله (يهوه) ، وبالطبع لم يوافق أحد من العلماء الاختصاصيين لاعلى هذه القراءة ، ولا على هذا الاستنتاج . . . . دعونا نستعرض قصة هذه الـ (يا) التي تحولت الى (يهوه) . . . .

يقول الفونسو آركي :

ـ من الثابت تماماً لدى علماء اللغات الشرقية القديمة ، ان الـ (يا) عبارة عن اداة تصغير شائعة جداً في اسماء الاشخاص (السامية) وهي شائعة بشكل خاص في اسماء الاشخاص الواردة في رقم (ماري) على الفرات الاوسط ، وفيما يتعلق بنصوص إبـــلا ، فقد اشار «بتيناتو» إلى أن تحول أسماء الاشخاص مثل : /ميكائيل ، واينائيل ، واشرائيل ، الى ميكابا وانيابا واشرابا ، دليل على أن (يا) في إبـــلا على الاقل تحتفظ بنفس القيمة الربوبية لـ (ايل) وبالتالي تمثل (يا) إلهاً معيناً . وان (يا) قد حل محل الاله (ايل) في نصوص إبـــلا اعتباراً من عهد الملك (ايبريوم) في حين كانت اسماء الاشخاص تقتصر على العنصر (ايل) قبل عهد هذا الملك ، بحيث اصبح من الواضح ان تطوراً جديداً قد حدث في المفهوم الديني (السامي) الغربي اختصاراً للإسم الربوبي (يهوا)[23] .

ان قراءة «بتيناتو» الغريبة والمدسوسة تدل على جهل بالغ من قبله ، ومحاولته تحميل الامر اكثر مما يحتمل ، فـ (يا) يمكن ان تقرأ أيضاً (إي) أو (لي) أو (ني) وهذا ماحصل بالنسبة الى المقطع الكتابي NI في لغة إبـــلا . . . هذا المقطع له عدة قراءات نوردها فيما يلي :

ـ قراءة سومرية آكادية إبلائية Ni = (Mi/lé/i)
ـ قراءة إبلائية خاصة Ni = (Lu x/ux)
ـ قراءة آكادية إبلائية مشتركة Ni = (ia/a x)

ان القراءة الأخيرة هي التي كانت مثار الشغب والضوضاء في الاوساط الاعلامية الصهيونية ، إذ أنهم استندوا الى تحميل المقطع (ني) (Ni) قراءة أخرى هي (يا) ، فحينما وردت كلمة (ايش ـ ما ـ ني) في لغة إبـــلا ، والتي تقابل في جميع اللغات (السامية) كلمة (اسمعني) قالوا بأنها تحتمل قراءة أخرى هي (ايش ـ ما ـ يا) أي (اسمع ـ يا) ولكن ماهو مدلول هذه الـ (يا) ؟ قالوا : انها اختصار لاسم إله ؟! وحينما أجاب المختصون بأن لاوجود لإله بهذا الاسم ؟ قالوا : بلى انه اختصار لاسم الاله (يهوه)[24]؟

ـ حول هذا الموضوع يقول الدكتور «روبيرت بيغس»[25] :

«لقد أنفق هؤلاء حبراً كثيراً حول هذه المسألة ، ولكنهم حملوا المقاطع أكثر مما تحمل»

ويرى بيغس القراءة الصحيحة لهذا المقطع هي (ني) وهو يعارض وجود إله في إبـــلا يحمل اسم (يا) اذ لاوجود لإله بهذا الاسم في جميع نصوص المشرق القديم.

ـ بتيناتو يقول : ربما يكون المقطع (يا) أحد الآلهة . ولكنه لم يبلغ به الأمر الى القول بأنه وجد (يهوه) في نصوص إبـــلا ، لان الامثلة التي ورد فيها هذا المقطع لاتتحمل إلا قراءة واحدة وهي (ني) لنعد الى الامثلة :

ـ (إب ـ خور ـ ني) (انجزني)= اجمعني ، ماضي جمع + نون الوقاية وياء المتكلم.

23 ـ مجلة بيليكا ، مصدر سابق (ص 556).

24 ـ من حوار خاص اجراه المؤلف حول هذا الموضوع من الاستاذ حميدو حمادة الاختصاصي بقراءة الرقم المسمارية ، وأمين متحف الرقم المسمارية في متحف حلب.

25 ـ استاذ العلوم الآشورية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو.

(إي ـ بي ـ ني) (يبئني)= انبأني ، ماضي أنبأ + نون الوقاية وياء المتكلم.
ـ (ايش ـ ما ـ ني) (ايشماني)= أسمعني . ماضي سمع + نون الوقاية ، وياء المتكلم.

وسبق وقلنا أن الفونسو آركي ، قد أكد أن المقطع (ني) هو الضمير المتصل المعروف في جميع اللغات السامية.

أما الدكتور جيلب[26] فقد قدم لنا العديد من الامثلة التوضيحية في مقالته (إبـــلا وحضارة كيش) حول هذا الموضوع ، فقال : لايمكن ان نقرأ المقطع (ني Ni) على أنه (يا) ia إلا في حالات محددة ، وذلك حينما يأتي بعدها المقطع (آ) a ، ويوضح ذلك في المثال التالي :

ـ بي ـ لي ـ يا ـ آ = بيليا (بعلي) سيدي béliya
ـ يا ـ آر ـ مو ـ تي == يارموتي (اسم مكان) yarmúti

ونلاحظ أن المقطع (يا) في المثال الاول جاء بعد (آ) . أما في المثال الثاني فقد جاء بعد (آر) وهو مبدوء بحرف (آ) . فقط في هذه الحالة نقرأ المقطع (ني) على أنه (يا) لانه مناسب للسياق وللمقارنات مع مايسمى اصطلاحاً باللغات (السامية).

من خلال ماتقدم نلخص المسألة على الشكل التالي :
ان المقطع المسماري Ni له عدة قراءات هي :
ني ـ لي ـ ي ـ بو ـ أو ـ آ ـ يا
.ia` - a - u - bu - i´- li - Ni

وأن السياق هو الذي يحدد القراءة المناسبة ، وأنه من خلال الامثلة التي قدمها «بتيناتو» والتي اختار منها قراءة (يا ia) مفضلا إياها على غيرها من القراءات ، أوصلته إلى باب مغلق في تفسير الكلمات التي ورد فيها المقطع ، ففسر كلمة (ايش ـ ما ـ ني) (اسمعني) على أنها كلمتين (ايش ـ ما) اسمع ، وأما المقطع المتبقي (ني) فقال عنه انه (يا) وربما يكون اسم الاله.

ومثلها فعل مع كلمة (اي ـ بي +ـ ني) اذا اعتبر المقطعين الاولين من جذر (أنبأ) . أما المقطع (ني) فاعتبره (يا) وقال بأنه اسم إله ، فيصبح المعنى (انبأ ـ يا) و (اسمع ـ يا) أي : (انبأ الاله يا ، اسمع الإله يا).

وتسللت بعض الاقلام المدسوسة لتشرح وتفسر هذا الإله (يا)؟! وشدوا الحروف ، ومدوا المقاطع ، وخرجوا ببدعة غريبة مفادها : (اذا كان (يا) إلهاً ، فهو بالتأكيد الإله اليهودي يهوه !!

ودغدغت هذه القراءة الحلم القديم ، حلم الحدود الممتدة من الفرات الى النيل ، وصار كل صحفي يهودي صهيوني ، علاّمة بالآشوريات والكتابات المسمارية ، وظهر تيار اعلامي خبيث ، راح ينتشر كالسرطان في بعض الاوساط المتزمتة . . . . ولكن هذا التيار حينما بدأ يصل الى المعاهد العلمية انبرى له مجموعة من كبار علماء اللغات والمسماريات القديمة أمثال جيلب وروبيرت بيغز وايتنغ وغيرهم ، وكان لمقالاتهم ودراساتهم دورها الكبير بانتهاء الزوبعة ، وتوضيح الحقيقة التي انصفت حضارتنا ، فها هو بيغز يقول بعد ثلاث سنوات من البحث والدراسة والمناقشة والتقصي ، «لم يعد

26 ـ كبير علماء الآشوريات في العالم ، استاذ في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو.

هناك من يربط بين ألواح إبـــلا والتوراة . . . . ان عقد مقارنات بين التوراة وألواح إبـــلا أمر مستحيل الان ، فالأشخاص الذين يتطلعون الى الواح إبـــلا بحثاً على صحة التوراة سيصابون بخيبة أمل مريرة . . . .

لقد أشيع منذ عدة سنوات بأن قصص الطوفان والخليقة منقوشة على الواح إبـــلا ، ولكن تبين الان ، بأن قصة الخليقة مجرد أربعة أسطر شعرية لم تترجم منها كلمة واحدة . أما قصة الطوفان فقد تقلصت الآن الى كلمة واحدة ترجمت إلى (ماء).

ويتابع بيغز قوله : «لاينبغي قبول الاقتراح الأولي القائل بربط لغة الواح إبـــلا باللغة العبرية ، لاسيما اذا تذكرنا بأن اللغتين يفصل بينهما اكثر من الف عام» . ونوه بيغز الى ان القيام بترجمة محترمة لرُقم إبـــلا المعقدة قد تحتاج الى عشرين عاماً[27].

ثم ان إبـــلا سابقة لورود العبرانيين الى المنطقة بألف عام ويزيد ، بل ليس في نظام الحكم بإبـــلا ، لا في تسلسل سلالتها الملكية ولا في أصالتها الفنية والمعمارية ، ولا في نظامها السياسي والاجتماعي ، ولا في نشاطها الاقتصادي ، ولا في أصالتها الفنية والمعمارية ، ولا في معبوداتها وديانتها وطقوسها علاقة أو شبه علاقة بالعبرانيين ، حتى بعد أكثر من ألف عام من إبـــلا ، عندما قدموا الى المنطقة كانوا بداة رحلا يجوبون الآفاق مع عيالهم ودوابهم ، وكانوا حسب قول ويلز غير متمدنين ، وليس لهم كتاب يقرأونه[28].

أما رد العالم «لاسور» فقد جاء ليؤكد بأن العديد من الرقم الإبلائية تبدأ بفعل ثم يليها فاعل ومفعول به ، وهذا الترتيب من خصائص اللغة الآكادية ، وليس من خصائص اللغة العربية ، على الرغم من وجود روابط شبه معها وأنها متقدمة عليها زمنياً بمئات السنين[29].

27 ـ وثائق إبـــلا ، مصدر سابق (ص 70 ـ 71)

28 ـ مجلة التراث العربي ، د . عدنان البني ، مصدر سابق (ص 31)

29 ـ إبـــلا ، منعطف التاريخ ، د . عمر الدقاق ، مصدر سابق (ص 78) نقلا عن مجلة «المسيحية اليوم».

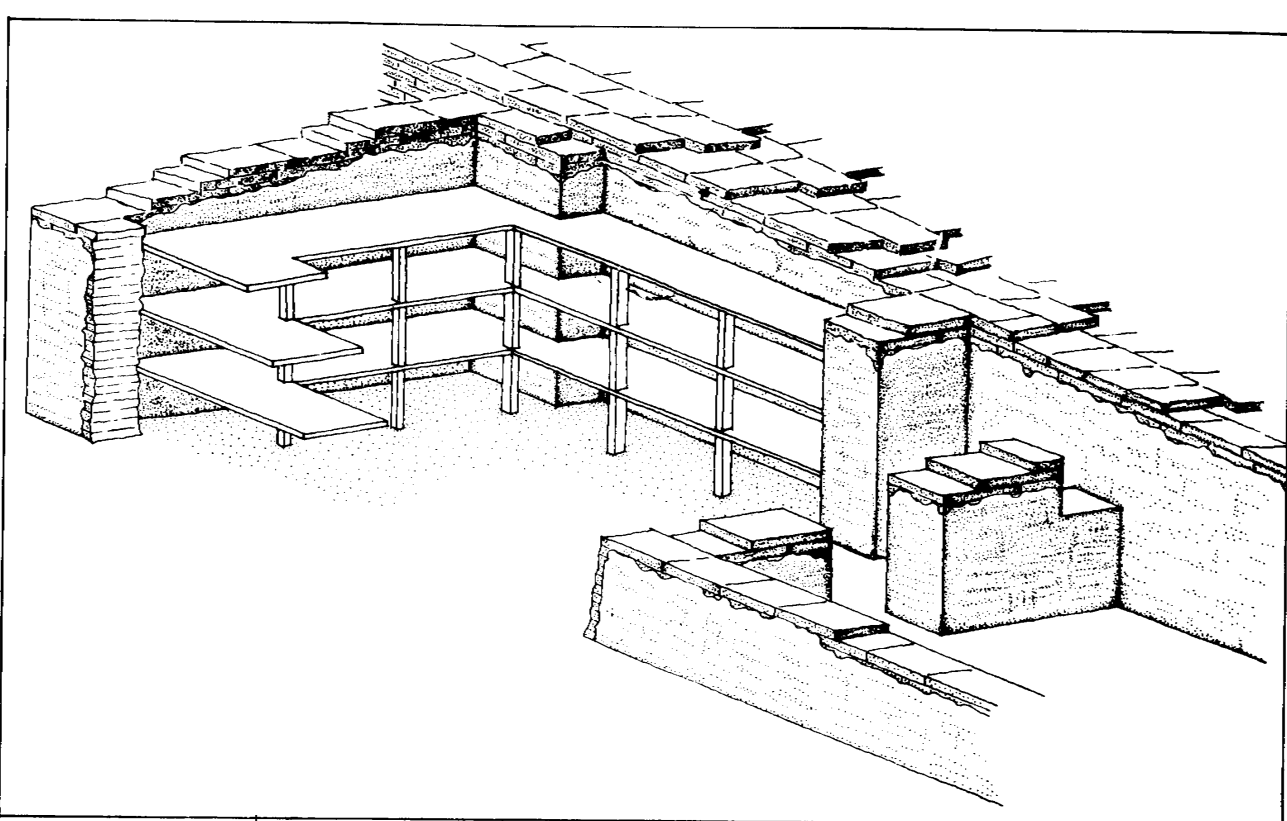
. الحقيقة العلمية تحسم الموقف:

ازاء حملة الافتراءات التي سعت لتشويه الموقف المتفتح الذي تقفه سورية العربية مع البعثات الاثرية العاملة على أراضيها ، ونظراً لسطحية القراءات التي عالج بها «جيوفاني بتيناتو» ومن تحمس له رقم إبـــلا ، وسعياً وراء وضع نتائج قراءة رقم إبـــلا تحت تصرف الاوساط العلمية في العالم بأسرع مايمكن ، وجهت الدعوة الى الاختصاصيين في قراءة الكتابات المسمارية ـ السومرية ـ الآكادية في العالم ، وألفت في عام 1978 لجنة دولية تضم خيرة الاختصاصيين العالميين وهم :

1 ـ البروفيسور ادموند سولبرجيه : رئيس قسم المسماريات في المتحف البريطاني.

2 ـ البروفيسور جيورجيو بوتشيلاتي : مدير معهد الآثار واللغات الشرقية القديمة في جامعة لوس انجلوس الامريكية.

3 ـ البرفيسور ديتزادزارد : استاذ الكتابات المسمارية واللغات القديمة في جامعة ميونخ بألمانيا الاتحادية.



رسم توضيحي لمكتبة المحفوظات المسمارية في داخل القصر الملكي (ج) حيث كانت الوثائق المسمارية مصنفة حسب أحدث الطرق حينذاك .

4 ـ البروفيسور هورست كلينغل : مدير معهد الدراسات الشرقية القديمة في اكاديمية العلوم ببرلين في المانيا الديمقراطية.

5 ـ البروفيسور جان روبير كوبر ؛ استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة السوربون بباريس.

6 ـ البروفيسور الفونسوآركي : استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة روما.

7 ـ البروفيسور بول غاريلي : استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة ،روما.

8 ـ البروفيسور بيليوفرونز ارولي : عميد كلية الاداب بجامعة فلورانسا الايطالية.

9 ـ الدكتور فوزي رشيد : الاختصاصي المعروف في اللغات المسمارية القديمة.

وقد كلف هؤلاء العلماء الافاضل بدراسة لوحات إبـــلا المسمارية المكتشفة كل حسب اختصاصه ونشرها بعدة لغات عالمية في مجلة «حوليات إبـــلا» التي تتولى جامعة روما اصدارها وقد صدر منها عشرات الاعداد التي تتناول قراءات إبـــلا كما بدأت سلسلة «وثائق إبـــلا» بالصدور ضمن مجلدات متخصصة حسب مواضيع هذه الرقم تحت عنوان «ارشيف إبـــلا».

لقد صدر من «ارشيف إبـــلا» مجلدات موثقة بالصور والحواشي ، ولقيت التقدير العلمي من جميع المحافل العلمية.

ـ المجلد الاول صدر عام 1985 ، وهو دراسة للنصوص الادارية التي قام بها الفونسو آركي من جامعة روما.

ـ المجلد الثاني صدر عام 1982 ، وهو دراسة للنصوص الاقتصادية التي قام بها ديتز ادزارد ، من جامعة روما.



ـ المجلد الثالث صدر عام 1982 ، وهو دراسة للنصوص الادارية ، قام بها الفونسو آركي من جامعة روما .

ـ المجلد الرابع ، صدر عام 1984 ، وهو دراسة لنصوص ادارية قام بها لوتشينو ميلانو ، وماريابيكا ، من جامعة روما.

ـ المجلد الخامس صدر عام 1984 ، وهو دراسة لنصوص أدبية قام بها ديتز ادزارد من جامعة روما.

ـ المجلد السادس ، قيد النشر ، ويتضمن دراسة عن النصوص القاموسية الثنائية اللغة ويقوم بقراءته ، الفونسو آركي من جامعة روما.

ـ المجلد السابع : صدر عام 1988 ، ويتضمن النصوص التي تتعلق بالمعادن والثياب ، دراسة الفونسو آركي.

ـ المجلد الثامن : صدر عام 1986 ، ويتضمن دراسة النصوص المسارية التي تتحدث عن النسيج وهو من دراسة ادموند سولبرجيه من المتحف البريطاني.

ـ المجلد التاسع : ويتضمن دراسة للنصوص التي تتعلق بمواضيع تاريخية، يقوم باعداد المجلد ادموند سولبرجية من بريطانيا .

ـ المجلد العاشر : صدر عام 1989 ، ويتضمن دراسات هامة عن اسماء العلم في إبـــلا ، وحصيلة الابحاث التي قدمت في ندوة جامعة روما عام 1985 عن مكتشفات إبـــلا وحضارتها العريقة.

ـ وثمة دراسات اخرى عن النصوص الإبلائية قام بها ، فرانزوروولي ، من جامعة فلورنسا عن المفردات الابلائية ، وقد استعان كثيراً بالمفردات العربية لتفسير هذه المفردات ، ويؤكد في دراساته هذه انه لم يعثر على كثير من الكلمات الابلائية الا في اللغة العربية ، وأشار الى أن الكلمات التي تحتوي على ظاهرة التثنية تنفرد بها الابلائية والعربية ، دون غيرها من اللغات.

أما دراسات «كريبرنيك» المتعلقة بالاصوات ، فتثبت أن كثيراً من الاصوات «السامية» القديمة مثل : (الضاد ـ الظاء ـ العين ـ الثاء ـ) لم يعثر عليها الا في العربية والأوغاريتية .... واشار الى ضرورة الاستعانة بالمعجم العربي ، من اجل تفسير المفردات الابلائية ، لانه لاغنى للباحث العلمي واللغوي عن ذلك من أجل قراءة صحيحة ودقيقة لرقم إبـــلا المسارية.



فنون البناء والعمارة

3

إذ دققنا النظر في تسلسل طبقات الاستيطان السكني في إبـــلا ، وفق ما أسفرته الاعمال الاثرية التي تمت ـ حتى الآن ـ نستطيع القول ان موقع تل مرديخ ـ إبـــلا ـ قد استوطن لاكثر من أربعة آلاف سنة ، أي منذ 3500 قبل الميلاد ، حتى عام 700 ميلادية وعندما نأخذ نتائج التنقيبات الأثرية بعين الاعتبار . . . . نجد إبـــلا قد بدأت صغيرة في الحقبة الزمنية الممتدة من 3500 ـ 2900 قبل الميلاد ، وقد كشفت التحريات الاثرية عن بقايا معمارية ضحلة ، ولقى اثرية بسيطة ، أهمها أنواع من الفخار البسيط العادي المغموس بالتبن قبل شيّه ، والمعروف في بلاد الشام الشمالية ، وخاصة في سهل العمق .

أما بالنسبة إلى العصر البرونزي القديم ، أو النصف الأول من الالف الثالث قبل الميلاد ، فإن المعلومات تكاد تكون معدومة ، باستثناء ما كشف عنه السبر في الطرف الشمالي من المربع (G) الواقع على سفح الرابية التي تتوسط المدينة ، حيث عثرت البعثة الاثرية على جزء من باحة أو شارع ، تحيط به بقايا معمارية من اللبن ، يعلوها مباشرة الابدة الدينية المسماة المعبد (D) . . . . وبما أن هذه البقايا المعمارية أقدم من القصر الملكي الشهير الذي اكتشفت فيه الرقم المسمارية ، فإن باولوماتييه يؤرخه في نهاية العصر البرونزي القديم الثالث 2750 ـ 2400 قبل الميلاد ، أو إلى نهاية عصر تل مرديخ (IIA) ، المؤرخ في الفترة الواقعة بين 2900 ـ 2400 قبل الميلاد ، وهذه الآثار تشكل ـ حتى الآن ـ الدليل الوحيد على كون إبـــلا قد استوطنت خلال العصر المعروف بعصر فجر السلالات في بلاد ما بين النهرين ، والعصر البرونزي القديم الثالث في بلاد الشام أي بين 2900 ـ 2400 قبل الميلاد ، ومن المحتمل أن يكون الاستيطان قد امتد من مركز المدينة فوق الرابية إلى بقية الاجزاء الأخرى من المدينة المنخفضة خلال هذا العصر ، وهذا ما سنعرفه من خلال تتابع عمليات الكشف الأثري في السنوات القادمة[1] .

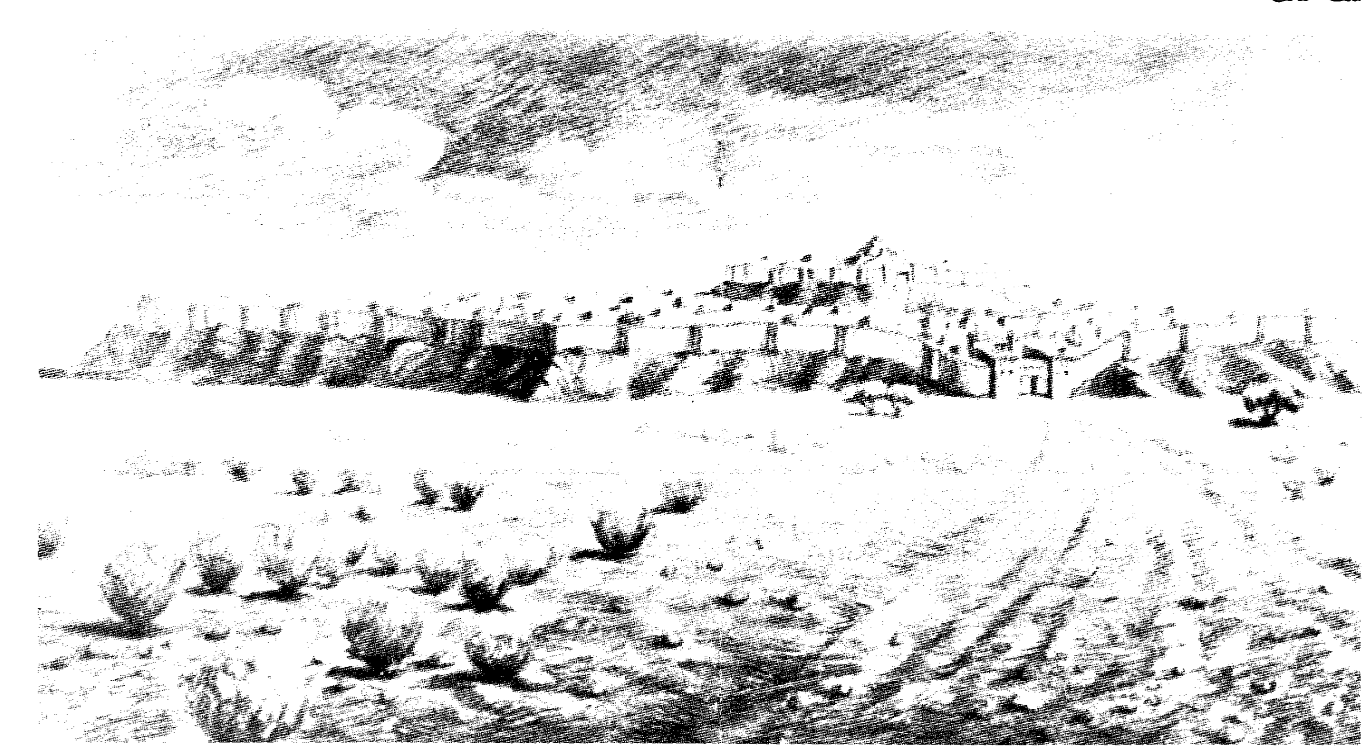
1 ـ آثار الممالك القديمة في سورية ، د . علي أبو عساف ، دمشق 1988 (ص 245) .

. القصر الملكي وعصر الازدهار :

تعتبر الفترة الواقعة بين 2400 و 2250 قبل الميلاد ، بمثابة عصر الازدهار الأول لامبراطورية إبـــلا ، وقد دلت على ذلك البقايا المعمارية التي اكتشفت في عدة أماكن من تل مرديخ .

ففي الجهة الجنوبية الغربية من المدينة قرب البوابة (A) ، وفي القطاع (N) إلى الشمال من مركز المدينة ، عثر على ما يثبت ذلك . . . . أما الكتابات المسمارية فقد تحدثت عن وجود أربعة احياء ،





رسم تخيلي لمدينة إبـــلا ، وسورها العظيم ونشاهد فيه القصر الملكي واحياء المدينة المحيطة به ...

يحتمل انها ارتبطت بأربع بوابات ، وان المدينة كانت محاطة بسور دائري منيع بني من الحجارة الكبيرة غير المنحوتة ، وقد حصن بأبراج مربعة بارزة حسب التقاليد المعمارية التي كانت سائدة في الألف الثالث قبل الميلاد .

وتؤكد مكتشفات البعثة الأثرية[2] ، ان إبــلا في ذلك العصر كانت مكتظة بالسكان ، والمساكن العادية البسيطة التي بنيت باللبن ، وبدون أساسات حجرية على الغالب ، وربما ضمت أيضاً المعابد ، حيث تأكد وجودها تحت موقع المعبد (N) الذي يعود إلى العصر الوسيط الثاني ، والذي يعود تأسيسه بين 2400 ـ 2250 قبل الميلاد . أما الرابية فتتألف من صخور طبيعية كلسية ، بنيت فوقها المعابد والقصور ، ويفصلها عن المدينة شارع عريض ، وقد أصبحت مركز المدينة .

2 ـ انظر كتاب EBLA. AN EMPIRE. REDISCO VERED. P. 84 - 88 .

لقد أبانت نتائج التنقيب الاثري في عام 1974 ، ان الجدران الضخمة التي كشف عنها في المنحدر الجنوبي الغربي من التل المركزي (الاكروبول) في تل مرديخ خلال موسم التنقيب في عام 1973 ، ما هي إلا جزء ، من البناء (G) الذي يحتمل أنه القصر الملكي حينذاك .

وجاءت نتائج أعمال موسم عام 1975 لتؤكد ان تلك الشواهد المعمارية ما هي إلا القسم الخارجي للقصر الملكي (G) الذي كان عامراً في الفترة الواقعة بين 2400 ـ 2250 قبل الميلاد . ولسوء الحظ أن الشواهد المعمارية التي كشفت عنها البعثة الأثرية ـ حتى الآن ـ تتلاشى مع انحدار التل المركزي (الاكروبول) من ناحية الغرب ، وهي تضم من الجنوب إلى الشمال قسماً واسعاً من باحة كبرى ورواقين محمولين على أعمدة خشبية ، قضى عليها الحريق . لكن الحفر المستديرة في الارضية لاتزال تشهد عليها ، وهناك برج مربع الشكل يحتوي في داخله على درج وأربعة ارصفة لعلها تقود

إلى طابق آخر في القصر ، وممر ضيق كان يستخدم مستودعاً لحفظ جرار المونة التي كانت تستند مباشرة على جدار البرج وقاعتين طويلتين شيدتا بشكل متوازٍ تحت أرضية لابد انها تغطي بقايا أبنية تعود إلى عصر البرونز الثالث . . وأخيراً هناك درج آخر منحني الشكل لابد أنه كان يقود إلى المنطقة العليا من التل المركزي (الاكروبول) وبالقرب من المعبد الذي قام فوق انقاضه المعبد الكبير (D) في أواخر عصر البرونز الوسيط[3] .

ـ إبـــلا اقدم مملكة عامرة في سورية ، باولوماتييه ، ترجمة قاسم طوير (ص 12 ـ 13) .

من الاجزاء التي كشفها ـ حتى الآن ـ من القصر نستطيع القول ، أن الباحة المسماة بباحة الاستقبال الملكية ليست باحة من القصر ، بل ساحة المدينة الرئيسية ، التي بلغت ابعادها 27 × 50 متراً ، وبني جدارها الشمالي والشرقي باللبن فوق اساس من الحجارة بعرض 2.8 متراً ، يحيط بها من الشمال والشرق رواقان ، بلغ عرض الاول 5.5 م ، والثاني 5 امتار ، حملت سقوفها على اعمدة خشبية بقطر 70 سم ثبتت بحفرة في الارض ، وتوجت ببلاطات حجرية ، ويبدو ان طول الرفادات الخشبية للسقف قد بلغ 370 سم في الرواق الشمالي ، و280 سم إلى 360 سم في الرواق الجنوبي .

ينفتح عدد من الابواب على هذه الساحة ، منها باب صغير في الشمال ، لم يبق منه سوى عضاداته الشرقية ، وهو يقود الى حجرتين صغيرتين خلف الواجهة الشمالية ، وينتهي الرواق في الشرق الى باب كبير بحالة جيدة ، يقود الى سلم المراسم في وسط البرج المربع ، وفي الواجهة الشرقية تصل بوابة كبيرة بين الباحة والقصر الحقيقي ، بواسطة درج كبير يصعد إلى القصر المرتفع ، وإلى الجنوب منها باب رابع يقود إلى وسط الجناح الإداري .

شيدت المنصة 450 × 300 × 55 سم ، باللبن وطليت بالكلس تحت الرواق الشمالي ، أمام الواجهة الشمالية ، إلى الشرق من الباب الذي يقود إلى المخزنين ، نصعد إلى المنصة بواسطة درج أمامي في الجنوب الغربي ، وآخر جانبي في الشمال الغربي ، ويبدو من آثار باقية على سطح المنصة ، أن عرشاً تعلوه مظلة قد شيد فوقها لجلوس الملك ، ونشير إلى أن باب المراسم في الجزء الشرقي من الرواق الشمالي بعيد عن المنصة ، ومقابل لها ، بينما نجد الباب الشمالي بجانبها ، ومما لا شك فيه أن الرواق الشمالي هو الطريق الذي كان يسلكه الملك قادماً من قصره إلى المنصة عبر بوابة ودرج المراسم .

أما الباب الشمالي الذي يقود إلى المخزنين فقد أعد بجانب المنصة ، ليقف فيه أفراد الحاشية ، الذين يستقبلون الهدايا المقدمة إلى الملك الجالس على المنصة ، ويضعونها في المخازن ، قبل نقلها إلى مكان آخر فيما بعد .

ويبدو أن مجموعة من الاحواض المائية والآبار كانت موجودة في الساحة بهدف توفير المياه للناس وحيواناتهم .

إن باحة الاستقبال الملكية هذه لا نجد لها مثيلاً في القصور المعاصرة في بلاد الرافدين ، ففي قصر الملك الآكادي (نارام ـ سن) المكتشف في موقع تل براك في شمال الجزيرة السورية ، وفي بقية القصور الرافدية فيما بعد ، نجد أن الباحة هي لبّ القصر ، كما أن كافة الاعضاء المعمارية من غرف وصالات تلتف حول الباحة وتدور في فلكها[4] .

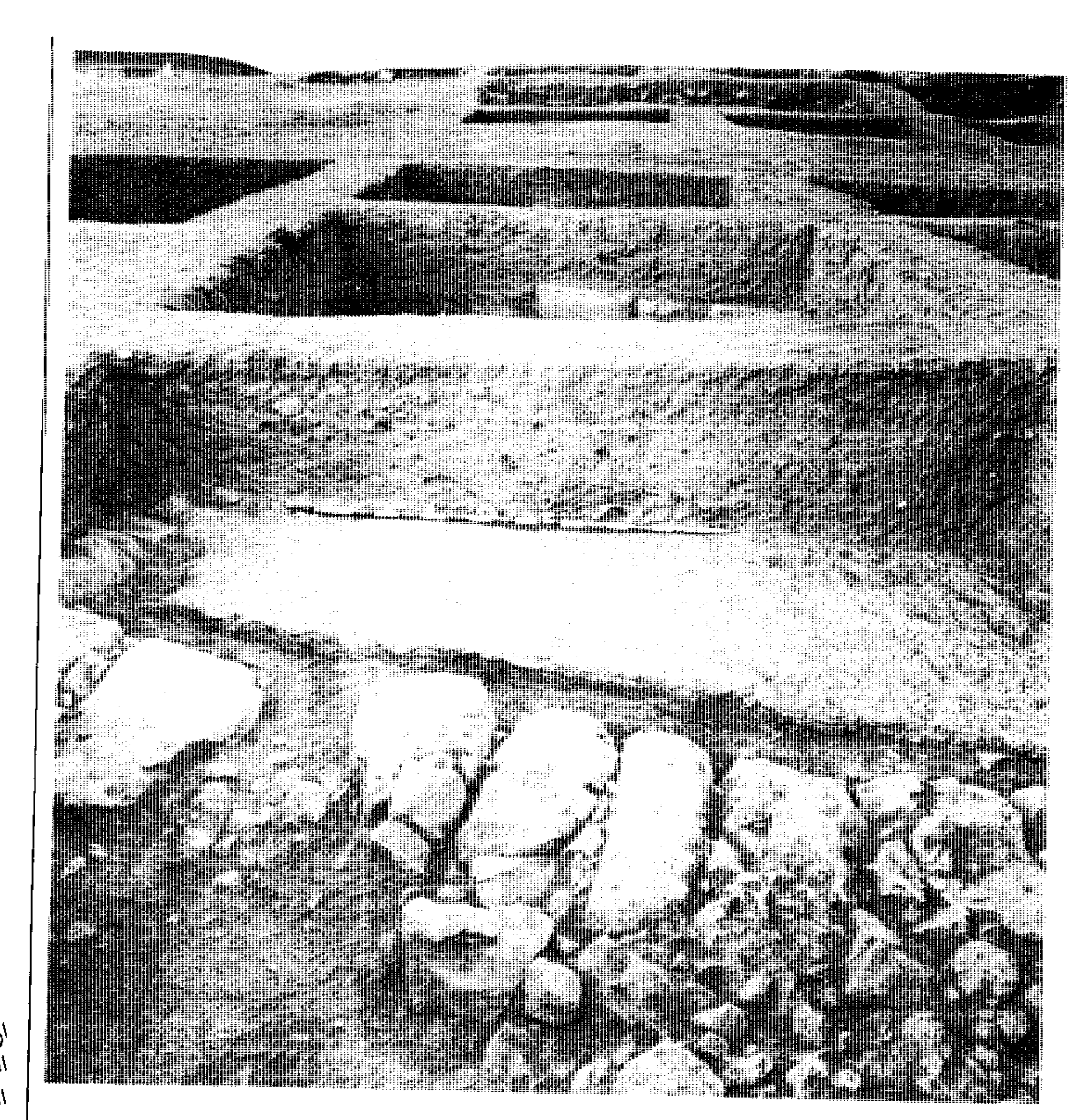
4 ـ المصدر السابق (ص 14) .



جانب من الباب الجنوبي من سور مدينة إبـــلا ، والذي يعرف في الوثائق المسمارية ، بباب الإله رشف ، ويعود تاريخه الى الألف الثاني قبل الميلاد (عن: باولو ماتييه) .

ومع ذلك يجد الدكتور علي أبو عساف شبيهاً للتنظيم العمراني في إبـــلا ، في موقع تل الخويرة ، قرب الحدود التركية ، على منتصف الطريق بين مدينتي تل أبيض ورأس العين . . . . الساحة الرئيسية في إبـــلا منشأة عامة ، لها وظائف ثقافية واجتماعية ، تقام فيها الحفلات والاستقبالات ، وتنتظم حولها المباني الرسمية أو الملكية . ان القصر الملكي وملحقاته قد انتظمت من الشمال والشرق من هذه الساحة ، وبنيت فوق اماكن أعلى من الساحة ، مما اضطر الناس لاستخدام الادراج ، للوصل بين الساحة وأجنحة القصر الملكي (G) ونرى هذا الشيء نفسه في تل خويرة ، حيث عمل الدكتور أبو عساف عام 1964 في الكشف على ما يسمى بالبناء الحجري رقم 3 الذي شيد فوق رابية إلى الشرق من الشارع الرئيسي أو الوادي الذي يخترق المدينة من الغرب إلى الشرق ، وينتهي إلى ما يمكن أن يسمى ساحة رئيسية تقع في الطرف الشرقي والجنوبي الشرقي من المدينة ، وتمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، حيث تنتظم حولها المباني الملاصقة للسور من الداخل ، والاخرى المقابلة لها[5] .

5 ـ مجلة الحوليات العربية السورية ، المجلد 27 و 28 لعام 1977/78 .



ارضيات وبقايا جدران الجزء الجنـوبي من القصر الملكي الغربي .

أما الجناح الاداري من القصر (G) فيقع إلى الجنوب من الباب الرئيسي ، ولا يتصل به ، وتشكل باحة صغيرة محاطة برواق ، مركز هذا الجناح ، يجاورها من الشمال حجرة كانت مستودعاً حفظت بها وثائق كثيرة ، وإلى جانبها يوجد درج مؤلف من أربعة أقسام تتدرج بالارتفاع من الاسفل إلى الأعلى .

أما في الجنوب فتجاورها قاعة كبيرة ربما كانت قاعة استقبال ، وفي الواقع أن التنقيبات الأثرية لم تكشف إلا على جداريها الشمالي والغربي ، وجزء من جدارها الجنوبي المجاور للزاوية الجنوبية المفترضة ، حيث يوجد باب ينفتح جنوباً على حجرات المستودعات التي تتصل عبر باب في الشرق بقسم آخر تابع للجناح الاداري .

وفي الجناح الاداري هذا ، تقع دار المحفوظات ، التي تتألف من حجرة واحدة صغيرة مساحتها 510 × 355 سم ، وقد بنيت في الرواق الشرقي بين المدخل الرئيسي للقصر في الشمال ،



باب المدينة الجنوبي الغربي في عصر السلالة الأمورية (1650 - 1800) ق.م .

ومدخل الجناح الاداري في الجنوب ، وفيها وضعت ثلاثة رفوف ، كل واحد بعمق 40 سم ، أمام جدرانها الشرقية والشمالية والغربية ، ولم يوضع شيء أمام الجدار الجنوبي الذي فيه المدخل ، وقد أسندت الرفوف على الجدران ، وعلى أعمدة خشبية ثبتت في أرضية الحجرة ، وقد عثر المنقبون الآثاريون في هذه الدار على الرقم الطينية البالغ عددها نحو 14000 رقيم بين كامل ومكسر ، وإلى الجنوب الغربي من هذه الدار ، توجد قاعة كبيرة مستطيلة الشكل جمع منها نحو 500 رقيم اثناء التنقيب في عام 1976 ، ويظهر واضحاً أن القاعة والدار قد بنيتا وفق مخطط واحد ، ولهدف واحد هو حفظ وكتابة الرقم المسمارية ، وقد خصصت الدار الداخلية لحفظ الرقم ، بينما استخدمت القاعة للأعمال الكتابية ، حيث جهزت بمقاعد ، أقيمت أمام الجدارين الشمالي والغربي ليجلس فوقها الكتبة .

وهناك حجرتان حوتا رقماً ، تقع الأولى في الزاوية الشمالية الشرقية من الساحة الرئيسية ، وإلى الجنوب من البرج ، ودرج المراسم ، وقد عثر فيها على نحو 1000 رقيم أو كسرة رقيم ، كانت محفوظة على رفوف خشبية . أما الحجرة الثانية فتقع إلى الجنوب من الدرج الرئيسي الذي يربط بين الساحة والقصر (G) عثر فيها على نحو 500 رقيم أو كسرة رقيم مبعثرة فوق أرضها ، وبين أنقاض سقفها وجدرانها[6] .

ورغم أن القصر الملكي هو الأبدة الأهم العائدة للنصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد، فالأسبار الأثرية الجارية في تل مرديخ إبــلا، أكدت وجود أبنية اخرى معاصرة سواء في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، او في وسطها، ولابد ان تقدم لنا الاعمال الاثرية المستمرة في إبــلا في المستقبل الكثير من المنشآت المعمارية عن هذه الفترة الهامة من حضارتها العريقة.

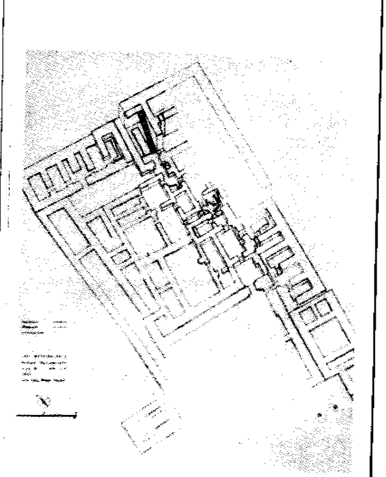
6 ـ آثار المالك القديمة في سورية ، مصدر سابق (ص 254 ـ 255) .

ـ القصر الملكي (Q) :

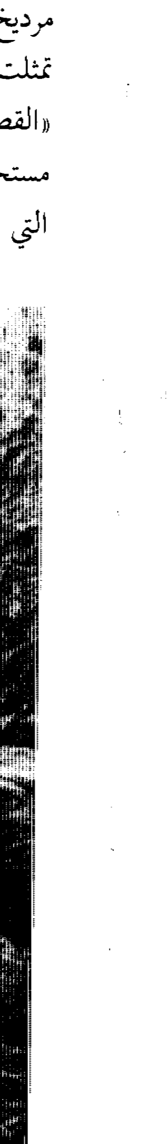
بعد انهيار فترة الازدهار الاولى لامبراطورية إبــلا على يد الملك (نارام ـ سن) نحو 2250 قبل الميلاد، نشير أن المدينة في الفترة الواقعة بين 2250 الى 2000 قبل الميلاد قد انتشرت على نفس مساحتها في العصر السابق، وقد قادت التنقيبات الى الكشف عن ابنية تعود لهذا العصر، وجدت في شمال (الاكروبول) القطاع (N) في الجهة الجنوبية الغربية، حيث تقوم البوابة العائدة للألف الثاني القطاع (A) وفي مناطق اخرى تقع جنوب غرب (الاكروبول)، واكثر البقايا المعمارية اهمية تلك التي كشف عنها في المنطقة الواقعة تحت انقاض المعبد (D).[7]

بعد ان انهت البعثة الأثرية الايطالية ، أعمال التنقيب في الجناح الاداري من القصر الملكي (G) في عام 1978 ، باشرت في نفس السنة اعمال التنقيب التوسعية نحو الغرب ، بهدف الكشف عن الاطراف الغربية لباحة المراسم والاستقبال التابعة للقصر نفسه ، وبذلك دخلت أعمال التنقيب في تل مرديخ ـ إبــلا ـ مرحلة جديدة استمرت من عام 1978 ، حتى عام 1982 ، ولاتزال مستمرة ، وقد تمثلت حصيلة هذه المرحلة الجديدة في الكشف عن قصر ملكي آخر ، أطلق عليه باولوماتييه اسم «القصر الغربي» لوقوعه في غربي التل ، وظهرت تحت أرضيات هذا القصر الجديد مقبرة ملكية كانت مستخدمة طيلة القرنين الاخيرين من حياة إبــلا ، وقد تم العثور في تلك المقبرة على قبور الأمراء التي لم تصل يد النهب والسلب إليها . . . .

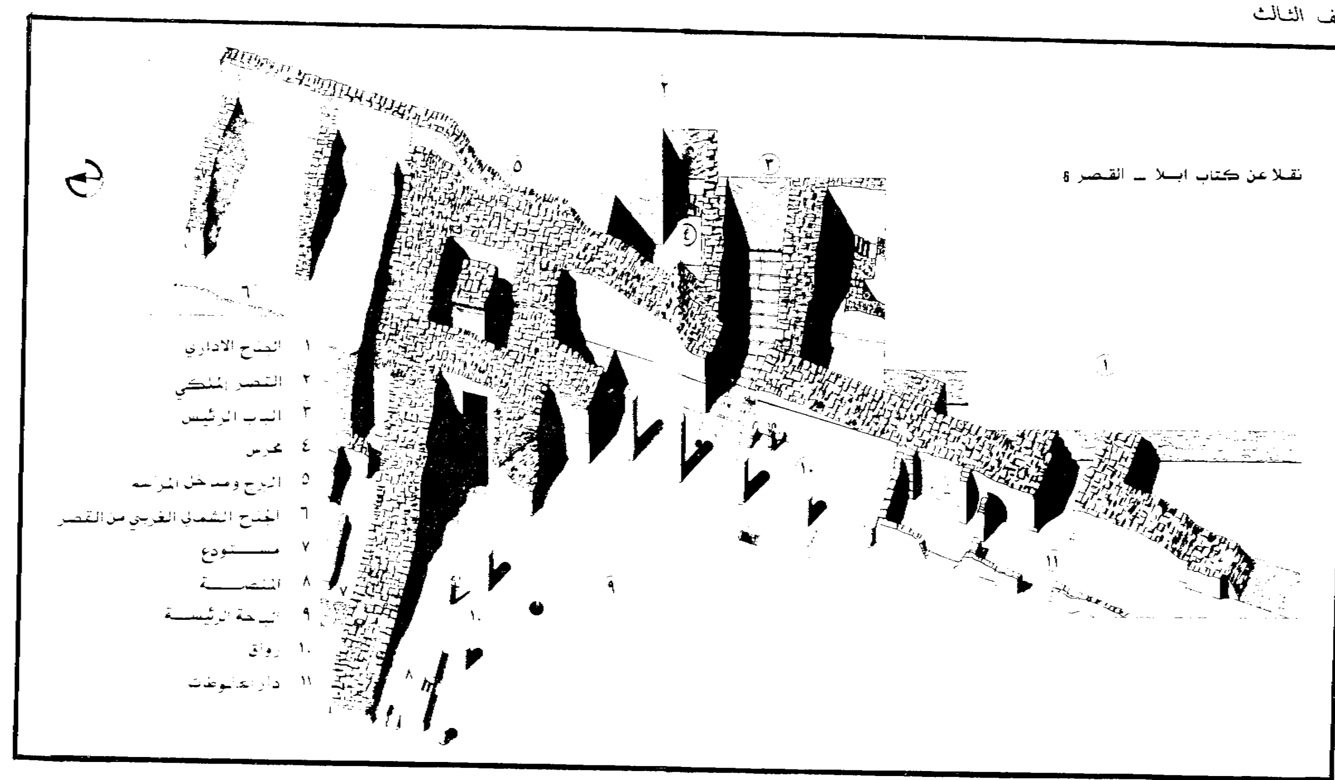
7 ـ آثار الوطن العربي ـ د . سلطان محيسن . المطبعة الجديدة ـ دمشق (1988 ـ 1989) (ص 248) .



رسم توضيحي شامل للقصر الغربي الذي يعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين (1650 - 1900) قبل الميلاد (عن ماتييه) .



احدى الباحات الداخلية للقصر الغربي في إبــلا التي تؤدي الى بقية أرجاء القصر .



رسم هندسي يبين اقسام القصر الملكي (ج). عن ماتيبه.

كانت هذه المكتشفات الجديدة منهلاً لمعلومات جديدة عن فترة ازدهار ثانية شهدتها امبراطورية إبـــلا في عصر البرونز الوسيط، وذلك مع نهوض الممالك العمورية ـ الكنعانية منذ مطلع الالف الثاني قبل الميلاد، وقد قامت في إبـــلا في القسم الاول من هذا العصر بين 2000 ـ 1800 قبل الميلاد، مملكة قوية، وعادت لتلعب في هذا العصر دوراً هاماً، وعرف من ملوكها مجموعة من الملوك امثال: أجريش حيبا وأبيت ليم. . . وقد استمر هذا العصر الذهبي حتى حوالى 1600 قبل الميلاد، حيث حدث دمار معظم الممالك العمورية ـ الكنعانية، على يد ملكي الدولة الحثية القديمة: «حاتوشيلي الأول» و«مورشيلي الأول» حيث قاد هذان الملكان بين 1650 و 1600 قبل الميلاد جيوشهما من الاناضول باتجاه سورية الشمالية، واستوليا على مدينة آلالاخ (تل عطشانة الحالية في منطقة انطاكية) واحتلا مدينة «اورشو» تلك المدينة الهامة والقريبة من إبـــلا، ويعتقد باولوماتيبه ان تكون «اورشو» هذه غائبة في باطن تل طوقان، الذي تقوم البعثة ـ حاليا ـ بالتنقيب فيه، ومن المؤكد تقريباً انهما استوليا على إبـــلا ايضاً، وفيما بعد على حلب، عاصمة مملكة يمحاض القوية، وفي نهاية المطاف احتل «مورشيلي الاول» بابل حيث كان يحكمها ملك من سلالة حمورابي[8].

يعتبر القصر الغربي من القصور الضخمة، فمساحته تقارب 300، 27 م^2. أي بطول 115 م من الشمال إلى الجنوب وعرض 60 م من الشرق إلى الغرب، والبناء موجه من الشمال إلى الجنوب، ويأخذ شكل مستطيل غير منتظم، يعتمد التصميم الداخلي على رصف وحدات سكنية متجاورة ومتماثلة، ويفصل بين الواحدة والأخرى جدران متوازية.

أما الوحدات السكنية نفسها فيتألف كل منها من باحة سماوية تقوم خلفها غرفتان، وفي بعض الأحيان ثلاث غرف، تطل جدرانها الخلفية الطويلة على الباحة نفسها.

8 ـ المقبرة الملكية، والقصر الغربي في إبـــلا، باولوماتيبه، ترجمة قاسم طوير، إصدار جامعة روما عام 1986، (ص 10).



صورة لاحدى صالات جناح الخدم في القصر الغربي، حيث كان يتم جرش وطحن الحبوب بواسطة أحجار الرحى التي ترتصف على طول الجدران منذ الألف الثاني قبل الميلاد. (ت: ماتيبه).

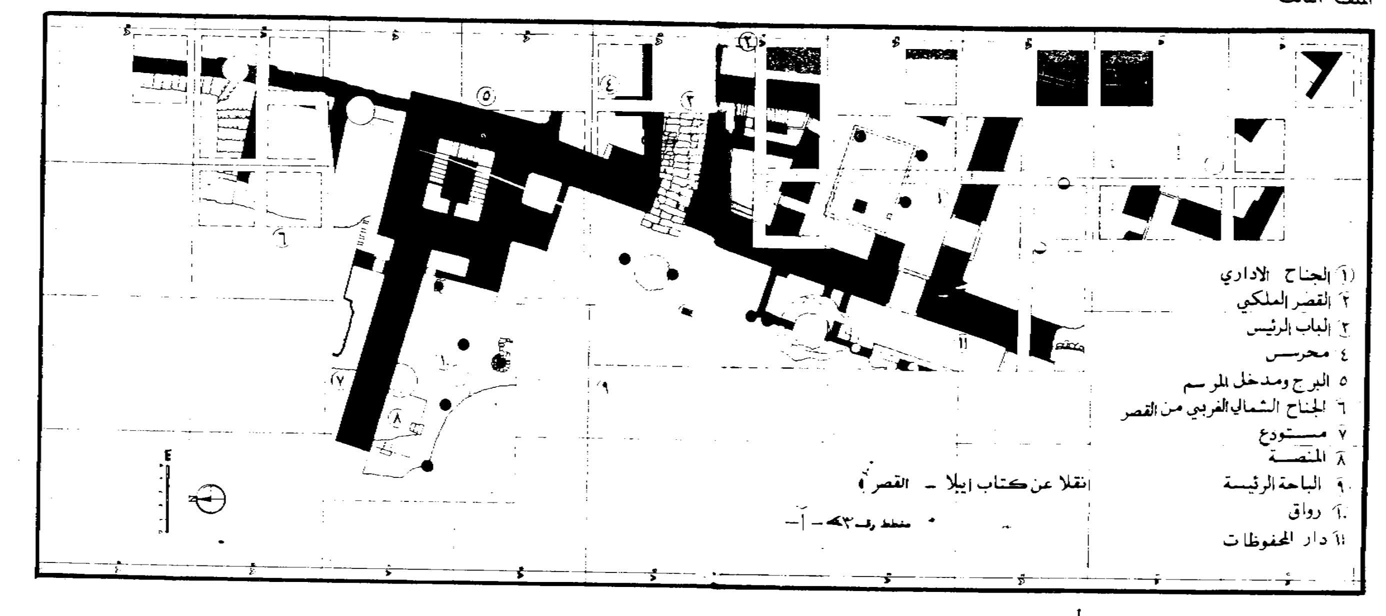
يشير باولوماتيبه في دراسته عن هذا القصر ان بناء هذا القصر قد تم بموجب هذا التصميم في الحقبة الأولى من عصر البرونز الوسيط أي بين 2000 و 1800 قبل الميلاد. . وبالفعل أبانت الاسبار التي اجرتها البعثة الاثرية الايطالية في القطاعين الشرقي والشمالي من القصر، وبالذات في أسفل أرضيات المرحلة الاخيرة من بناء القصر، وجود أرضية أقدم عهداً، وعثر فوقها على فخار يميز العصر البرونزي الوسيط الاول في سورية.

وتشير الدلائل الاثرية انه قد جرى تعديل على بناء القصر في اوائل الحقبة الثانية لعصر البرونز الوسيط، ففي هذه الفترة جرى سد بعض الابواب، وترميم جوانب الممرات.

يتمتع البنيان المعماري للقصر الغربي بمغزى خاص لتحديد الخصائص الفريدة لبواكير الحضارة السورية القديمة، وبالفعل فإن مخطط القصر قد اعتمد على مقاييس اساسية في التصميم، وتوزيع الفراغات المعمارية، فالباحات السماوية صغيرة نوعاً ما، كما انها تأخذ شكلاً مستطيلاً، وتتعامد مع السور الخارجي للقصر، في حين أن بعض الغرف المتجاورة ترتصف بين الباحة والجدران الخارجية للمنشأة، ويقوم في الجزء المركزي لداخل القصر جناح خاص للاستقبال، في حين ان الباحات الداخلية في الوحدات السكنية تضمن الدوران المستمر في جنبات القصر، فإن هناك ثلاثة أو أربعة مدارج تستندجعلى الجدران الخارجية للقصر، ومهمتها تأمين الوصول إلى الطابق الثاني، الذي كان مخصصاً للسكن والمنامة[9].

ويرى ماتيبه ان هذه العناصر المعمارية تختلف كلياً عن أسس التصميم المعماري المعروف في الحضارة البابلية القديمة، حيث تتألف الوحدة المعمارية من باحة مركزية كبرى، وتحف فيها غرف طويلة موازية لاضلاع الباحة والجدران الخارجية، كما ان حركة الانتقال داخل جنبات القصر ليست

9 ـ المصدر السابق (ص 15).



رسم هندسي آخر يبين أقسام القصر الملكي (ج) عن ماتييه .

دائرية كما في قصر إبــلا الغربي، ومركز انطلاقها الباحة الرئيسية في الوسط، ولا يستخدم الدرج الا قليلاً . . .

بناء على ذلك نجد ان قصر إبــلا الغربي، بعيد كل البعد عن التقاليد المعمارية الرافدية بدءاً بالفترة الاكادية، وانتهاء بالعهد البابلي القديم . . . وتتجلى مظاهر التقاليد المعمارية السورية في قصر إبــلا في استخدام الاساسات السميكة من الكتل الحجرية الكبيرة لاقامة جدران اللبن فوقها، وفي الاكثار من استخدام جدران الحجر الكلسي والبازلتي، وفي استخدام دعامات حجرية من قطعة بازلتية واحدة لوجنات الابواب، وتكون في بعض الاحيان مزينة بمحاريب غائرة في المواقع الرسمية من القصر . . . كذلك فان البوابة الامامية للقصر الغربي في إبــلا والتي يحتمل ان تكون محمولة على عمودين، تسبق البوابة المكتشفة في آلالاخ (تل عطشانة)، كما تسبق ما يسمى بطراز (بيت حيلاني) الذي انتشر في بلاد الشام خلال الالف الاول قبل الميلاد.

ومن السمات السورية القديمة الاخرى، يذكر «ماتييه» جناح الاستقبال الرسمي ذي التقسيم الثلاثي، والصالتين الرئيسيتين اللتين يفصل رواق بينها، بيد ان قصر إبــلا الغربي لا ينفرد بهذه الخصائص، بل هي معروفة ايضا في عمائر آلالاخ (تل عطشانة)، ومع بعض التعديل في تلمن هويوك، وفي قطنة (تل المشرفة قرب حمص)، وتؤكد هذه الخصائص المعمارية المنفردة في قصر إبــلا الغربي وانسجامها مع القصور الاخرى على استقلال وانفراد الحضارة السورية الشمالية خلال الحقبتين الاولى والثانية من عصر البرونز الوسيط. . . الفترة التي هيمن فيها الآموريون وتوسع فيها الحوريون.[10]

10 ـ المصدر السابق (ص 16 ـ 17).

ان هذا القصر كغيره من القصور الكنعانية ـ الآمورية في سورية، قد استخدم كمقر للدولة فيه ادارات متعددة، عسكرية، زراعية، تجارية، ادارية . . . وهو قريب او شديد الشبه بقصر «ياريم ـ ليم» من حيث المخطط والوظائف. . ولا نستغرب ذلك اذ نعلم من رسالة موجهة من احد امراء اوغاريت الى حمورابي، ملك حلب. . . حيث ان هذا الاخير، قد نقل الى ملك ماري «زيميرى ليم»



الدرج الشمالي الذي يقود الى الطابق العلوي في القصر الغربي .

رغبة ملك اوغاريت في زيارة ابنه لمشاهدة قصره، وهذا يدل على معرفة ملوك ذلك العصر بالمنجزات المعمارية التي تتم في البلاد، وعلى رغبتهم في تقليد الشهير منها .

. القصر الملكي (E) :

لم يكشف من هذا القصر ـ حتى الآن ـ سوى جناحه الشمالي فقط، وقد شيد على الطرف الشمالي من التل المركزي و(الأكروبول) وتتوسط الجناح المكتشف باحة مستطيلة ابعادها 28 × 15 م . . . . جداراها الغربي والشمالي اعرض واقوى من الجدارين الاخرين. . . . تحيط بها حجرات من الشمال والشرق، ورواق من الجنوب، ومما يدل على ان القصر كبير. . . ويتألف من

بضعة اجنحة، كون الحجرتين الواقعتين الى الشرق من الباحة لا تتصلان مباشرة بالحجرات التي تليها ولابد في هذه الحالة من ان تكون هناك باحة اخرى الى الشرق من الباحة المحررة من الانقاض، وقد يكشف عنها في مواسم التنقيب القادمة في إبـــلا.

. المقابر الملكية:

اعمال التنقيب الاثري في القصر الغربي، قادت البعثة الاثرية الى الكشف عن مقبرة ملكية يعود تاريخها الى الحقبة الثانية من عصر البرونز الوسيط، وقد كشف عن اربعة مدافن تحت ارضية المنطقة الوسطى للقصر، اما الكهف الذي ظهر تحت ارضية، «جناح الاستقبال في القصر» فإنه يحتمل أن



المقبرة الملكية في إبـــلا وتعود للألف الثاني قبل الميلاد.

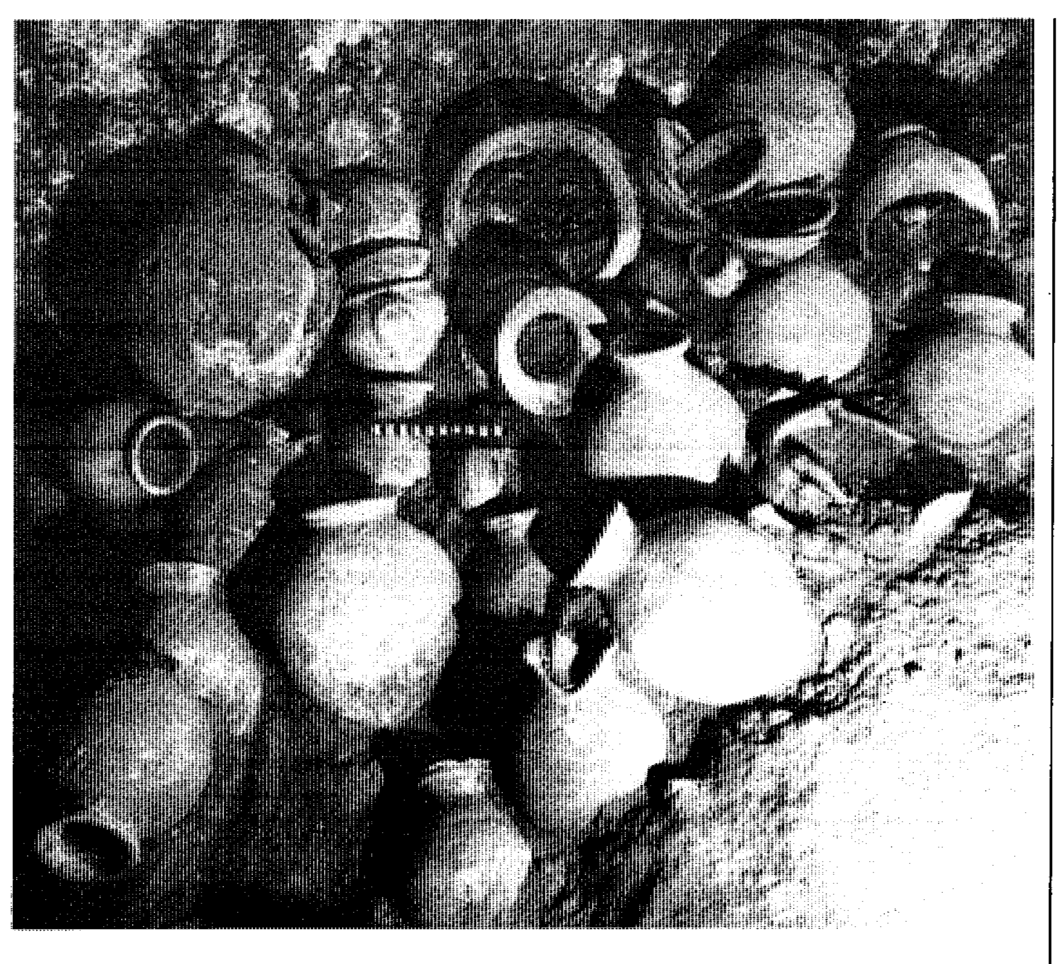


مدفن سيد الماعز (1750 - 1700) قبل الميلاد، وتشير الدلائل الأثرية ان هذا المدفن كان لأحد ملوك إبـــلا، ونشاهد في الصورة بقايا العطايا الجنائزية من الاواني الفخارية المتناثرة في ارجاء المدفن. (عن ماتييه).

يكون قد استخدم للدفن أيضاً، كذلك حال الكهف الذي ظهر على بعد بضعة امتار خارج الضلع الشرقي، وهناك مدفن سابع وثامن وتاسع، يعتقد باولوماتييه أنه كان لهذه المدافن وظائف جنائزية.

كانت المدافن الملكية الثلاثة الواقعة في وسط القصر، مؤلفة من مجموعة معقدة من الكهوف المتصلة مع بعضها البعض بحيث جعلها اصحابها في ذلك الزمان ملائمة للاغراض الجنائزية، وتشير الدلائل الاولية أن «مدفن الأميرات» الواقع في الجنوب، هو أقدم المدافن الثلاثة عهداً، ويليه في الاستخدام الجنائزي المدفن الواقع إلى الشرق من الأول، وقد أطلق عليه اسم «مدفن سيد الماعز»، . أما المدفن الواقع إلى الغرب من المدفنين الآنفي الذكر، فهو احدثها عهداً، وقد اطلق عليه اسم «مدفن الخزانات».

يتألف «مدفن الأميرات» من ممر قصير يهبط إلى باطن الصخر بواسطة بضع درجات، ويتجه هذا الممر من الجنوب إلى الشمال، ويقود إلى حجرة الدفن الصغيرة المحفورة في باطن الصخر، يعود تاريخ هذا المدفن إلى حوالي 1800 قبل الميلاد أو أقل من هذا التاريخ بقليل.



قبر الأميرة الذي يعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين (1825 - 1750) قبل الميلاد ونرى في الصورة الأواني الفخارية التي كانت توضع في القبر أثناء مراسم الدفن . (عن ماتييه) .

أمّا مدفن «سيد الماعز» فله مدخل اسطواني يهبط شاقولياً في باطن الصخر ، ويؤدي إلى حجرة دفن مربعة الشكل ، وهناك ممر قصير يؤدي إلى حجرة دفن اخرى لكنها نصف مستديرة في الشكل ، وهي مغلقة بجدار من الحجارة الكبيرة ، وكان هذا المدفن من أغنى المدافن التي عثرت عليها البعثة ، ويعتقد انه يخص احد الملوك في حوالي 1750 قبل الميلاد ، أو بعد ذلك بفترة قليلة .

ويتألف «مدفن الخزانات» من خزانين قديمين للمياه ، كان لهما فتحتان في السقف ثم جرى اغلاقها ، عندما حول هذا الكهف إلى مدفن ، وقد فتح في الشرق مدخل اسطواني يهبط شاقولياً ، وحفر فيه درج يساعد على الهبوط ، وتعتقد البعثة الاثرية ان آخر عملية دفن فيه كانت في حوالي 1700 قبل الميلاد[11] .

وقد تأكد من خلال المقارنة ، ان طراز هذه المدافن الملكية الثلاثة المكتشفة في إبـــلا لا يختلف عن طراز المدافن المعروفة في بلاد الشام ، والتي تؤرخ بالحقبة الثانية لعصر البرونز الوسيط ، ويتميز هذا الطراز بوجود حجرة الدفن والمدخل الشاقولي ، وينتشر مثل هذا النوع من المدافن بين اريحا في فلسطين وجبيل على سواحل الشام ، علماً بأن المدافن ذات المداخل الافقية ليست إلا حالة استثنائية ، ومنها «مدفن الأميرات» ، و«مدفن خزانات المياه» في إبـــلا ، أما بقية مدافن إبـــلا ذات المداخل الشاقولية فهي النوع الشائع في بلاد الشام خلال الحقبة الثانية لعصر البرونز الوسيط[12] .

11 ـ المصدر السابق (ص 18 ـ 19) .

12 ـ المصدر السابق (ص 28)

. المعابد :

اشتهرت بلاد الشام في عصر البرونز الوسيط ببناء المعابد المستطيلة ذات الأروقة ، وقد ظهر النموذج الأبكر لهذه المعابد منذ عصر السلالات المبكرة في تل الخويرة ، قرب بلدة رأس العين ، على الحدود السورية ـ التركية . . وتكرر ظهور هذه المعابد في إبـــلا ، ويمثل ذلك المعبد (ب ـ 1) الذي يتمتع بمخطط مألوف في بلاد الشام ، ويتميز بقاعته الطولانية ، ومن المحتمل أن يكون هذا المعبد مخصصاً للإله «رشف» إله العالم السفلي والطاعون والحرب ، الذي كان نظيراً للإله «نرجال» في بلاد ما بين النهرين ، وقد وجد في انقاض هذا المعبد حوضاً عليه نحت بارز لمشهد وليمة ربانية ، ولكنه يضم في وجوهه الاخرى ، نحتاً بارزاً لاشكال محاربين ، ولعل تمثيلهم على هذا الحوض يشير إلى الاجواء المحيطة بالإله رشف ، ومما يؤكد على هذا الافتراض ، ان النصوص المسمارية المكتشفة في إبـــلا تطلق على باب المدينة الرابع ، والحي الرابع[13] . اسم باب وحي الإله «رشف»[14] . والمعبد (ب ـ 1) يقع فعلاً في الحي الرابع المواجه للباب الجنوبي للمدينة .

أما المعبد (ب ـ 2) فإنه يتمتع بمخطط غير منتظم ، ويتألف من هيكل كبير في الوسط ، وله مصطبة ، ومدخل محوري منكسر ، وتحف بالهيكل الكبير هياكل مربعة ومستطيلة أصغر حجماً ، ويعتبر هذا الطراز من المعابد ، ومجهولاً في تصنيف المعابد المخصصة للأرباب في بلاد الشام .

ومن خلال الترتيب المميز لأدوات ووسائل ممارسة الطقوس التي وجدت في المعبدين (ب ـ 1 و ب ـ 2) مثل المذبح الذي كان ينتصب عليه تمثال من البرونز ، والالواح البازلتية لتقديم الذبائح ، والمنصات المخصصة لتقدمات الاطعمة ، وغيرها مما يتفق كلياً مع طقوس ومراسم الجنازة الملكية ، يرى ماتييه أن القصر الملكي الغربي ، ومعبد رشف (ب ـ 1) وهيكل الموتى (المعبد ب ـ 2) كانوا يشكلون مجمعاً معمارياً متكاملاً ، وكان هذا المجمع مربوطاً عن قصد مع المقبرة الملكية الآنفة الذكر . وبناء على ذلك يعتقد أن توسيع منطقة الدفن الملكية يشير إلى خلق علاقة وثيقة مع القصر ، أي ربط المقبرة الملكية مع المعبد لعبادة اله الآخرة (العالم السفلي) والهيكل المخصص لتقديس الموتى[15] .

وبناء على ذلك يمكن اعتبار تلك الوحدة المعمارية الضخمة في القطاع الغربي الاسفل من مدينة إبـــلا في عصر البرونز الوسيط ، أول دليل أثري متكامل على احدى المؤسسات «الايديولوجية» الأساسية لمجتمع السلالات الامورية في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين .

. سور المدينة :

أقام المموريون ـ الكنعانيون في عصر البرونز الوسيط ، مدناً قوية محصنة أحاطت بها الاسوار الضخمة المصنوعة من الحجر واللبن ، وكان لها بوابات ضخمة تحميها الابراج الدفاعية القوية ، وقد أحيطت مملكة إبـــلا في مطلع الألف الثاني[16] بسور ضخم صمم على النمط المعروف بالسور السفح ، وهو جدار عريض عند قاعدته ، ويضيق كلما اتجه نحو قمته .

13 ـ كانت مدينة إبـــلا كما تشير التنقيبات الأثرية مقسمة إلى اربعة احياء سكنية .

14 ـ عبادة الأجداد في إبـــلا الآمورية ، باولوماتييه ، مصدر سابق (ص 35) .

15 ـ المصدر السابق (ص 35) .

16 ـ يعود تاريخ هذا السور تحديداً بين 1950 ـ 1800 قبل الميلاد .